مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد الثلاثون، ديسمبر 2017

* *

أثر السنة في معاملة غير المسلمين في الدول غير العربية
(المملكة الماليزية أنموذجا)

د. طارق عطية ادكيج العاتي•

المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد،

فإن هذا البحث الموسوم: **أثر السنة في معاملة غير المسلمين في الدول غير العربية (المملكة الماليزية نموذجا)** يندرج ضمن تجديد الفكر الإسلامي بما يتماشى مع مقولة: الإسلام صالح لكل زمان ومكان؛ فالدين الإسلامي دين عالمي يخاطب الناس كافة بجميع أعراقهم وأطيافهم، في كل أرجاء الأرض وقد عالج جميع أمورنا الدينية والدنيوية الروحية والمادية، دقيقها وجلها، خاصها وعامها، سرها وعلنها تميز بخصائص منها: السماحة واليسر، ونبذه للعنف، سماحة القوي، ويسر المعتدل، لا سماحة الخانع الذليل، ولا يسر المضيع للدين، واقتضى ذلك أن يكون في هذه الرسالة من الخصائص والسمات ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان إلى جميع أمم الأرض، وأعظم هذه الخصائص وأجلها: السماحة واليسر في كل شأن من شؤون الحياة في

• – قسم ، كلية الدعوة والإمامة والخطابة – كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن

العبادات والمعاملات، والأخلاق، والآداب، مع المسلمين وغير المسلمين وسماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين أحد الموضوعات الثرية بالمادة العلمية، وقد حظيت باهتمام العلماء قديما وحديثا، ومن ينظر في في كتاب أحكام أهل الملل للخلال (ت: 311هـ) وأحكام أهل الذمة لابن القيم (ت: 751هـ) مثلا يجد ذلك جليا ظاهرا، ويجد رصيدا حضاريا هائلا تزخر به كتب الفقه والسنة في أحكام غير المسلمين، كما أن هناك العديد من البحوث والدراسات الحديثة في هذا الشأن؛ فقد قضى الله –سبحانه– وقدَّر أن لا يؤمن أهل الأرض كلهم؛ لحكمة يعلمها هو، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[يونس: 99]. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: 29].

ولا يتصور مع بقاء الكفر على الأرض، ومع وجوب تبليغ الدعوة إلى الناس أن ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات. ولذلك فإن التشريع الإسلامي نظَّم علاقة المسلم مع غيره من بني جنسه أفرادا ومجتمعات، ووضع الضوابط الكاملة في ذلك داخل المجتمع الإسلامي وخارجه.

مشكلة البحث:

يعالج البحث مسألة جِدُّ مهمة، وهي مشكلة التعايش السلمي بين أفراد المجتمع من خلال طرح مسألة: **تناول أثر السنة في معاملة غير المسلمين في الدول غير العربية (المملكة الماليزية نموذجا)** ويمكن طرح إشكالية البحث وفق التساؤلات الآتية:

تساؤلات البحث:

1- ما مفهوم السماحة، وضابطها الشرعي في الإسلام؟
2- ما أهميتها في انتشار الإسلام والمحافظة عليه؟
3- ما أصناف غير المسلمين في المجتمع الإسلامي؟

4- هل ضَمِنَ الإسلامُ لغير معتنقيه حرية المعتقد والعبادة في بلاد الإسلام؟

5- كيف كانت معاملة النبي ﷺ والصحابة والتابعين لغير المسلمين؟

6- ما التركيبة السكانية والدينية في ماليزيا؟

7- ما أثر التعايش السلمي بين جميع الأطياف في ماليزيا وما عناصر نجاح ذلك؟

8- هل الجميع يشارك في بناء الدولة دون النظر إلى انتمائه الديني؟

أهداف الدراسة:

وبناء على هذه تساؤلات، فإن أهداف هذه الدراسة تتمثل في الآتي:

1- بيان مفهوم السماحة، وضابطها الشرعي في الإسلام.

2- بيان أهمية السماحة في انتشار الإسلام والمحافظة عليه.

3- التعريف بأصناف غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.

4- بيان أن الإسلام ضمن لغير معتنقيه حرية المعتقد والعبادة في بلاد الإسلام.

5- التعريف بكيفية معاملة النبي ﷺ والصحابة والتابعين لغير المسلمين.

6- التعريف بالتركيبة السكانية والدينية في ماليزيا.

7- بيان أثر التعايش السلمي بين جميع الأطياف في ماليزيا وعناصر نجاح ذلك.

8- بيان أن جميع الشعب الماليزي يشارك في بناء دولته دون النظر إلى انتمائه الديني.

أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى بيان سماحة الإسلام في السنة النبوية وضوابطها في معاملة غير المسلمين بمختلف أصنافهم وأطيافهم ودياناتهم من أهل الكتاب وغيرهم، وذلك من خلال الوقوف على هدي القرآن والسنة النبوية،

والتطبيق العملي لما في سيرة النبي ﷺ وسيرة السلف الصالح، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان –رضي الله عنهم أجمعين–. وهذه السماحة أقنعت الباحثين من غير المسلمين ليسجلوا شهاداتهم بأن لا مثيل لحضارة الإسلام في معاملة مخالفيه، كما يكتسب البحث أهميته من بيان التطبيق الحضاري لهذه السماحة في ماليزيا بشكل موجز، وكيفية نجاح التجربة الماليزية في التعايش مع غير المسلمين في بلادهم؛ باعتبارها أنموذجا لبلد مسلم غير عربي تعيش فيه ملل وأطياف وديانات وثقافات مختلفة، وهذا يعتبر من الأسباب الرئيسية لكتابة هذا البحث.

منهج البحث:

المنهج الذي يتم استخدامه في هذا البحث المنهج الاستقرائي، من خلال تتبع بعضٍ من جزئيات تسامح النبي ﷺ وبعض صاحبته وبعض التابعين مع غير المسلمين، والآيات والأحاديث المتعلقة بذلك وأيضا من خلال تتبع بعض من جزئيات التعاملات المعاصرة بين أفرد المجتمع الماليزي متعدد الأعراق والديانات؛ بغية الكشف عن التعايش السلمي بين أفراد مكونات المجتمع الماليزي؛ بما يحقق بناء دولتهم وتقدمها، بالاستفادة من تسامح الإسلام مع غير المسلمين، كما سيتم استخدم المنهجين التحليلي والتركيبي ثم المنهج البنائي، الذي سيستخدم في صياغة الأفكار وكتابتها من جديد.

هيكلية البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

فالمقدمة– تتضمن مشكلة البحث، وتساؤلاته، وأهدافه، وأهميه، ومنهج الدراسة، وهيكليته.

المبحث الأول– مفهوم السماحة ويتضمن المطالب الآتية.

المطلب الأول: مدلولها.

المطلب الثاني– الضابط الشرعي للسماحة في الإسلام.

المطلب الثالث– أهمية السماحة في الإسلام.

المبحث الثاني– غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ويتضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول– أصنافهم غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني– حرية الاعتقاد والعبادة لغير المسلمين في بلاد الإسلام.

المطلب الثالث– أثر النبي صلي الله عليه وسلم وسماحته في معاملة غير المسلمين.

المطلب الرابع– صور من أثر الصحابة والتابعين في معاملة غير المسلمين.

المبحث الثالث– ماليزيا والتركيبة السكانية والدينية، ويتضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول– النظام السياسي في ماليزيا وعناصر نجاحه.

المطلب الثاني– التعايش والمشاركة بين جميع الأطياف في ماليزيا.

المطلب الثالث– النظام الديني الديمقراطي في المملكة.

المطلب الرابع– الدين والدولة في المملكة الماليزية.

الخاتمة– وتتضمن أهم النتائج وبعض التوصيات.

المبحث الأول- مفهوم السماحة:

المطلب الأول- مدلول السماحة:

يتحدد مفهوم السماحة من خلال معرفة مدلولها اللغوي والاصطلاحي.

فالسماحة لغة: يقول ابن فارس: تدلّ مادّة (س. م. ح) على معنى السّلاسة والسّهولة، يقال: سَمح (بفتح السين) وتسمّح وسامح، فعل شيئا فسهّل فيه، ويقال أيضا: سمُح (بضمّ الميم)، وأسمح: إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء، وفي الحديث: «يقول اللّه -عزّ وجلّ-: «أَسْمِحُوا لِعَبْدِي كإِسْمَاحِهِ إلى عبادي»[1] وفي الأثر: إنّ ابن عبّاس سئل عن رجل شرب لبنًا محضا، أيتوضّأ؟ قال: «اسمح يسمح لك» ومعناه: سهّل يسهّل لك وعليك. وقولهم: «الحنيفيّة السّمحة ليس فيها ضيق ولا شدة»[2].

والسّماحة في الاصطلاح تقال على وجهين:

[1] . الموسوعة الشاملة -كتاب نضرة النعيم- الصفات المستحبة- السماح - الآيات/ الأحاديث/ الآثار 18/ 24/ 14، (الدرر السنية: "سمح: فيقول اللّه تعالى: «أَسْمِحوا لِعَبْدِي كإِسْمَاحه إلى عبادي»، «اسْمَحْ يُسْمَحْ لك»، «اسْمَح يُسْمَح بك» "السَّمَاح رَبَاح". "سمح" فيه. فيقول اللّه تعالى: «أَسْمِحوا لِعَبْدِي كإِسْمَاحه إلى عبادي». الإسْماح: لغة في السَّماح. يقال سمَح وأسْمَح إذا جادَ وأعْطى عن كَرَم وسَخَاء. وقيل إنما يقال في السخاء سَمَحٍ وأما أسْمَح فإنَّما يقال في المُتَابعة والانْقِياد. يقال أسْمَحَتْ نفسُه: أي انْقَادت. والصحيح الأوّل، والمُسامَحة المُساهَلة وفيه: «اسْمَحْ يُسْمَحْ لك» أي: سَهِّل يُسَهل عليك، ومنه حديث عطاء: «اسْمَح يُسْمَح بك»، ومنه الحديث المشهور: «السَّمَاح رَبَاح» أي: المُساهَلة في الأشياء يَرْبحُ صاحبُها. (النهاية في غريب الحديث والأثر).

[2] . المصباح 1/ 376، واللسان 2/ 489- 490، المصباح 1/ 308.

الأوّل: ما ذكره الجرجانيُّ من أنّ المراد بها: بذل ما لا يجب تفضّلا، أو ما ذكره ابن الأثير من أنّ المقصود بها: الجود عن كرم وسخاء[1].

الثاني: في معنى التّسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها، الّتي تتجلّى في التّيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين الّتي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم البعض، أو مع غيرهم من أصحاب الفكر والمنهج الآخر، قال ابن حجر: السمحة: السهلة؛ أي: إنها مبنية على السهولة[2]، والسماحة تشمل أصول الدين وفروعه، وصورها لا تحصر؛ فعقيدة الإسلام سمحة، وشريعته سمحة، وتمتد صور السماحة إلى المعاملة، قال رسول الله ﷺ: (رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى)[3] وبوب البخاري –رحمه الله– للسماحة في هذا الحديث بالسهولة فقال: باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، قال ابن حجر : «وفي الحديث: الحث على السماحة في المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق، وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم»[4].

---

[1] . التعريفات للجرجاني 127، والنهاية لابن الأثير 2/ 398.

[2] . ينظر ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1 ص 94 .

[3] . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ، رقم الحديث: 2076 .

[4] . ابن حجر، فتح الباري، ج 4 ص 207.

المطلب الثاني- الضابط الشرعي للسماحة:

السماحة لا تعني التساهل دون ضابط شرعي يحكمها؛ فهي مرتبطة بالنص، وعندما يخلط بعضهم بينها، وبين التساهل المذموم؛ فقد يعيب بعض على الآخر، ظنا منهم أن في السماحة تفريطا بأصل الدين، وأنه فهم مدلول السماحة، وأنها تعني السهولة والمسامحة، والمساهلة لا تعني بحال التفريط في شيء من أصول الدين أو فروعه، كما أن التفريط في فهم سماحة الإسلام وتطبيقها قد يفضي إلى التشديد والتنفير من هذا الدين، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: 78] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: 185] وفي الحديث عنه ﷺ: «هلك المتنطعون»[1] قالها ثلاثا، والمتنطعون: المتشددون في غير موضع التشديد؛ فهذا الدين جاء ليضع الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة، وقد كان النبي ﷺ يأمر بالتيسير، وينهى عن التعسير.

والسماحة من ناحية أخرى لا تعني الضعف؛ فالإسلام يأبى الضيم، ويرفض لأتباعه الذل والهوان والمؤمن عزيز بإيمانه وإسلامه، قوي بهما، ومن يظنون السماحة والصفح والحلم والعفو ضعفا لا يدركون عظمة هذا الدين والسماحة كبقية المعاني العظيمة التي جاء بها الإسلام، كالوسطية، والتيسير، والعدل والعفو، والصفح، وغير ذلك لها ضابطها الشرعي، الذي إن حادت عنه كانت عقبة في فهم طبيعة الإسلام.

[1] . أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم الحديث: 2670 .

المطلب الثالث– أهمية السماحة في الإسلام:

بني دين الإسلام منذ ظهوره على اليسر، قال رسول الله ﷺ: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)[1]، وفي هذا الدين من السماحة والسهولة، ومن اليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته وخلوده، وهو ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان لسائر الأمم والشعوب؛ فالسماحة تتلاءم مع عالمية الإسلام، وخطاب الدعوة في القرآن والسنة يؤكدان ذلك؛ فقد جاءت النصوص تدعو الناس إلى أن ينضموا تحت لواء واحد، وأن يتنافسوا على معيار الإسلام الخالد، وهو التقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: 13]. فقد جاء الإسلام في فترة جاهلية أهدرت كرامة الإنسان وحريته، فأعاد الإسلام بناء الإنسان من جديد، ونظم علاقته بربه، وعلاقته بالآخرين، ووضع الإسلام الضوابط الكاملة لجميع ميادين الحياة في علاقة المرء بربه، وفي علاقته ببني جنسه، وفي علاقته بسائر المخلوقات، وجاءت جميع هذه الضوابط متوافقة مع فطرة الإنسان وعقله، فيها من التيسير والسماحة والمرونة، وهذه من خصائص الإسلام العظيمة التي ترتبط بأصل هذا الدين، ولا يعيق تطبيقها عائق؛ ذلك أنه في أوج قوة المسلمين كانت السماحة شعارا لهذا الدين، وصور ذلك لا تحصى.

المطلب الثالث– سماحة العقيدة الإسلامية:

كان دين الإسلام ولا يزال دين سماحة ويسر في عقيدته، وعباداته، ومعاملاته، وآدابه، وسائر تشريعاته؛ فعقيدته لا تقوم على فلسفة معقدة، أو تسليم مطلق، أو مخالفة للفطرة والعقل، فأطلق القرآن الكريم الحرية للمرء للتدبر

[1] . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم الحديث: 39 .

والتفكر في نفسه، وفي ملكوت السماوات والأرض، ودعا الناس إلى الإيمان بالله وحده، وفي القرآن الكريم ما لا يحصى من الآيات الداعية إلى الإيمان بالله، يستوي في فهمها العامة والخاصة؛ فقد دعت آياته كل أحد إلى التجرد من الهوى والتقليد، وخاطبت عقولهم وفطرهم، وهي مع ذلك لا تكرههم على الإيمان، قال تعالى: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[البقرة: 256] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: 29]. وفي القرآن العظيم كثير من الآيات الدالة على أن أصحاب العقول السليمة والألباب المستقيمة إذا حكَّموا عقولهم، واستجابوا لفطرتهم، وتخلصوا من ربقة التقليد فإنهم ينقادون إلى هذا الدين عن طواعية ورغبة، دون إكراه.

ولهذا، فمن يقرأ القرآن الكريم يعلم حقيقة السماحة في الإسلام في أعظم قضية جاء بها الإسلام وهي قضية التوحيد؛ فيعرض لها القرآن بأسلوب سمح سهل، يدركه كل عاقل، ويستدل على حقائق الإيمان بما يحسه الناس ويدركونه بأيسر طريق.

وعبر تاريخ دولة الإسلام كان يعيش في داخلها غير المسلمين في مراحل قوتها وضعفها، فلم يجبروا على ترك معتقداتهم، أو يكرهوا على الدخول في الإسلام، والقاعدة العظمى في الإسلام أن لا إكراه في الدين؛ قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[البقرة: 256] ولذا فقد عاش الذميون وغيرهم في كنف دولة الإسلام دون أن يتعرض أحد لعقائدهم وديانـاتهم[1].

[1] . تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، مكتبة المنارة ، مكة ، ط1 ، 1412هـ ص 30 .

المبحث الثاني- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي:

المطلب الأول- أصناف غير المسلمين في المجتمع الإسلامي:

تعدد أصناف غير المسلمين في المجتمع الإسلامي على النحو الآتي:

الكفار: وهم إما أهل حرب، وإما أهل عهد، وأهل العَهْد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان، وقد عقد الفقهاءُ في أبوب الفقه لكل صِنف بابًا، فقالوا: باب الهدنة، باب الأمان، باب عقد الذمة ولفظ **(الذمة والعهد)** يتناول هؤلاء كلهم في الأصل، وكذلك لفظ **(الصلح)**، فإن الذمة من جِنس لفظ العَهْد والعقد، وهكذا لفظ **(الصلح)** عامٌّ في كل صلح، وهو يتناول صُلْح المسلمين بعضهم مع بعض وصُلْحهم مع الكفار، ولكن صار في اصطلاح كثير من الفقهاء **(أهل الذمة)**: عبارة عمن يؤدِّي الجزية وهؤلاء لهم ذمة مؤبَّدة، وقد عاهَدوا المسلمين على أن يجري عليهم حُكْم الله ورسوله؛ إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حُكْم الله ورسوله؛ بخلاف أهل الهدنة، فإنهم صالَحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصُّلح على مال، أو غير مال، لا تجري عليهم أحكام الإسلام -كما تجري على أهل الذمة- لكن عليهم الكفُّ عن محاربة المسلمين، وهؤلاء يُسمَّون أهل العهد، وأهل الصلح، وأهل الهدنة.

وأما **(المستأمَن)**، فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطانها، وهؤلاء أربعة أقسام:

1- رسل.
2- وتجار.
3- ومستجيرون حتى يُعرَض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاءوا دخلوا

فيه، وإن شاءوا رجعوا إلى بلادهم.

4- وطالبو حاجة من زيارة، أو غيرها.

وحُكْم هؤلاء ألا يُهجَّروا، ولا يُقتَلوا، ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يُعرَض على المستجير منهم الإسلامُ والقرآن، فإن دخل فيه فذاك، وإن أَحَب اللَّحاق بمأمنه أُلحِق به، ولم يُعرَض له قبل وصوله إليه، فإذا وصل مأمنه، عاد حربيًّا كما كان[1].

وينقسم غير المسلمين في المجتمع الإسلامي إلى أربعة أقسام:

1- أهل الحرب: وهم الكفار الذي بين المسلمين، وبين دولتهم حالة حرب، ولا ذمة له، ولا عهد، قال الشوكاني: «الحربي: الذي لا ذمة له، ولا عهد»[2].

2- أهل الذمة: وهم الكفار المقيمون تحت ذمة المسلمين بدفع الجزية؛ قال ابن القيم: «أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب، ومن المجوس[3]، وحُكْم أهل الذمة المعاهَدين الذين يُساكِنون المسلمين في ديارهم، ويدفعون الجزيةَ؛ لأنهم يخضعون للأحكام الإسلاميَّة في غير ما أُقِرُّوا عليه من أحكام العقائد والعبادات، والزواج والطلاق، والمطعومات والملبوسات، ولهم على المسلمين الكفُّ عنهم وحمايتهم، قال ابن الأثير: «وسُمِّي أهل الذمة؛ لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم»[4].

---

[1] . التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام؛ محمد الغزالي.ص71

[2] . حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن التركي،ص33

[3] . حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، صالح العابد، ص57

[4] . الحوار من أجل التعايش، د. عبد العزيز بن عثمان التويجيري

3- المعاهَد: وهو الكافر الذي بينه، وبين المسلمين عهد مهادنة، قال ابن بطال: «والمعاهد: الذي بينه وبين الإمام عهد وهدنة، وإذا دخل ديارَ المسلمين سمِّي مُستأمَنًا».

4- **أهل الأمان:** وهم المستأمَنُ عليهم: وهم الحربيون المقيمون إقامة مؤقَّتة في ديار المسلمين، قال الشيخ محمد بن عثيمين عندما سئل: البعضُ يتأوَّل في مسألة أهل الذمة بدعوى عدم وجود ولي الأمر العام أو الخلافة، أو لعدم وجود أهل الذمة أصلاً بدعاوى عديدة؛ ولذلك لا يَجِدون غضاضةً في دعوة الناس للاعتداء على غير المسلمين من المعاهَدين؟ فأجاب بقوله: أنا أُوافِق على أنه ليس عندنا أهل ذمة لأن أهل الذمة هم الذين يخضعون لأحكام الإسلام، ويؤدُّون الجِزيةَ، وهذا مفقود منذ زمن طويل، لكن لدينا معاهَدون ومستأمَنون، ومعاهدون معاهدة عامة، ومعاهدة خاصة؛ فمن قَدِم إلى بلادنا من الكفار لعمل أو تِجارة، وسُمِح له بذلك، فهو: إما معاهَد أو مُستأمَن، فلا يجوز الاعتداء عليه؛ وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[1]، فنحن مسلمون مستسلمون لأمر الله -عز وجل- مُحترِمون لما اقتضى الإسلام احترامه من أهل العهد والأمان فمَن أخلَّ بذلك فقد أساء للإسلام وأظهره للناس بمظهر الإرهاب والغدر والخيانة، ومَن التزم أحكام الإسلام واحترم العهود والمواثيق، فهذا هو الذي يُرجى خيره وفلاحة[2].

---

[1] . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، كتاب فرض الخمس باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، رقم الحديث: 3166. .

[2] . التعامل مع غير المسلمين في الإسلام، محمد اقبال النائطي الندوي ص 21

المطلب الثاني- حرية الاعتقاد والعبادة لغير المسلمين في بلاد الإسلام:

من الحريات التي كفلها الإسلامُ في حقِّ غير المسلمين: حرية الاعتقاد والعبادة؛ فلم يُجبِر الإسلامُ الناسَ، ولم يُكرِههم على الدخول فيه؛ بل ترك الحبلَ على غاربهم، ووكل الأمر إلى أنفسهم؛ فقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[البقرة: 256] ولهذا، فقد دأب المسلمون على دعوة الناس إلى الإسلام، وعَرْضه عليهم دون إكراه، أو إجبار؛ فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يَمُر بعجوز نصرانيَّة ويَعرِض عليها الإسلامَ، ويدعوها إليه قائلاً: أَسلِمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمدًا بالحق، قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إليَّ قريب، فقال عمر -رضي الله عنه-: اللهم اشهد وتلا قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]. ويتحدَّث الأستاذ أحمد الحوفي في كتابه سماحة الإسلام عن هذه الحرية في الاعتقاد والعبادة التي أتاحها الإسلامُ لغير المسلمين في المجتمع المسلم، فيقول: «أما الحرية الدينية فقد كفَلها الإسلامُ لأهل الكتاب، فهم أحرار في عقيدتهم وعبادتهم وإقامة شعائرهم في كنائسهم»[1].

ويتجلى في هذا المبدأ تكريمُ الله للإنسان، واحترام إرادته وفِكْره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يَختصُّ بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تَبَعة عمله، وحساب نفسه وهي أخصُّ خصائص التحرُّر الإنساني، التحرر الذي تُنكِره على الإنسان في القرن العشرين مذاهبُ مُعتَسِفة، ونُظُم مُذِلَّة، لا تسمح لهذا الكائن -الذي كرَّمه الله- باختيار عقيدته وفق ضميره وتَصوُّر

[1] . الدعوة إلى الإسلام، توماس ارنولد، ص 54

للحياة ونُظُمها، غير ما تُمليه عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية، وما تُمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها، فإما أن يَعتنِق مذهب الدولة هذا وهو يحرمه من الإيمان بإله للكون يُصرِّف هذا الكونَ، وإما أن يتعرَّض للموت بشتى الوسائل والأسباب!.

فحرية الاعتقاد أول حقوق الإنسان التي يَثْبت له بها وصف إنسان؛ فالذي يَسلُب إنسانًا حرية الاعتقاد إنما يَسلُبه إنسانيَّته ابتداء، ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة.

المطلب الثالث– سماحة النبي ﷺ في معاملة غير المسلمين:

بعث الله تعالى نبيه محمدا ﷺ رحمة للعالمين، فكان ﷺ مثالا للكمال البشري في حياته كلها ومثالا للكمال في علاقته بربه، وفي علاقته بالناس كلهم؛ بمختلف أجناسهم وأعمارهم وألوانهم، مسلمين وغير مسلمين؛ قال جابر بن عبد الله –رضى الله عنه–: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً سَهْلاً»[1]، قال النووي: « وَقَوْله: (سَهْلًا) أَيْ: سَهْل الْخُلُق،كَرِيم الشَّمَائِل، لَطِيفًا مُيَسَّرًا فِي الْخُلُق، كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَإِنَّك لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم﴾[القلم: 4]»[2].

[1] . صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، رقم الحديث: 1213.

[2] . شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1407هـ، ج 4 ص 410.

وعن أَبَي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[1]. وعن أَبَي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أيضا، قَالَ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي صَلاَةٍ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ –وَهْوَ فِي الصَّلاَةِ–: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلأَعْرَابِيِّ: «لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا» يُرِيدُ رَحْمَةَ اللهِ[2].

وعن عَبْدِ اللهِ[3] قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةً، كَبَعْضِ مَا كَانَ يَقْسِمُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، قُلْتُ: أَمَّا أَنَا لأَقُولَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ –وَهْوَ فِي أَصْحَابِهِ– فَسَارَرْتُهُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، وَغَضِبَ حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ»[4].

---

[1]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رَحْمَةِ الْوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِه، رقم الحديث: 9557.

2– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، رقم الحديث: 6010.

3– عبد الله: هو عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–. ينظر بدر الدين العيني الحنفي، عون المعبود، عمدة القاري شرح صحيح البخاري.

4– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الصَّبْرِ عَلَى الأَذَى، رقم الحديث: 6100.

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»[1].

فالرسول ﷺ كان سمحا في كل معاملاته، ويحث المؤمنين على أن يتصفوا بفضائل توحد بينهم وتجعلهم يتعايشون سلميا فيما بينهم، كالجسد الواحد إذا مرض منه عضو مرض سائر الجسد، فقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[(2)].

فهذا الحديث مع بيانه الصريح لما يجب أن يكون عليه المؤمنون فيما بينهم من التّوادِّ والتراحم والتعاطف والتواصل يبين أمراً مهما هو أثر هذه الأخوة القائمة على الرابطة الإيمانية والتعاون في حصانة المجتمع وتماسكه وقوته؛ في التعايش السلمي فيما بين المسلمين، بل وفيما بينهم وبين غيرهم، حيث يُشبّه المجتمع المسلم بالجسد الواحد الذي يهتم سائر أفراده لما يحصل لبعضهم، أو يحدث في مجتمعهم من خلل أو خطر، ويتكاتفون لصده. ويؤيد هذا المعنى

---

[1]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الْهِجْرَةِ، رقم الحديث: 6077.

2– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، 1999/4، حديث رقم: 2586.

قول الرسول ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وشبك بين أصابعه[1].

ويؤيد هذا قوله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2]، فقد اشترط في الإيمان أن يحب الإنسان لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، وقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[3].

وهنا يؤكد النبي ﷺ –وهو الصادق الأمين– أن الإنسان ليس بمؤمن إلا إذا أحب لأخيه المسلم ما يجب لنفسه، وأن المسلم الحقَّ هو الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده؛ فلا يعتدي على أحد باليد أو باللسان، بل على الإنسان المسلم أن يُعطيَ غيره مما عنده من الطعام، وأن يقرأ السلام على من يعرف ومن لا يعرف؛ فقد سئل ﷺ أَيُّ الْإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[4].

وَفِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ أَبِي ذَرّ قَالَ قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «يَا أَبَا ذَرّ إِذَا طَبَخْت مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ». وَفِي لَفْظ لَهُ: إِنَّ خَلِيلِي ﷺ

1– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة –بيروت، ط3، 1407 – 1987، 182/1حديث رقم: 467.

2– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، 14/1، حديث رقم: 13.

3– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، 13/1، حديث رقم: 11.

4–أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام، 13/1، حديث رقم: 12.

أَوْصَانِي: « إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ »[1].

ويمكن القول بأننا لو طبقنا ما في الإسلام بشأن التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم من تكافل اجتماعي، وتضامن بين أبناء الأمة؛ بحيث نفشي السلام على بعضنا، ولا يبيت أحدنا شبعان وجاره جائع وأن يأمن الجار جاره؛ وأن نتكفل أيتامنا عندئذ سيتحقق للأمة خير عظيم، وهو التكامل الاجتماعي والوحدة بين أبنائها، ونصبح مؤمنين حقا، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «وَاَللَّه لا يُؤْمِن، وَاَللَّه لَا يُؤْمِن، وَاَللَّه لَا يُؤْمِن». قِيلَ: يَا رَسُول اللَّه وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ : «الَّذِي لا يَأْمَن جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[2] ، وفي لفظ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[3].

وهذا يؤكد أن التكافل الاجتماعي، والعايش السلمي بين أفراد الأمة حقيقة تضرب بجذورها في عمق الفكر الإسلامي منذ نشأته، وإذا كان الأمر كذلك، فما حقيقة التعايش السلمي المطلوب تحقيقه اليوم على ضوء سماحة النبي ﷺ في تعامله مع المسلمين وغيرهم، هذا ما نبينه من خلال ما ورد في الآحاديث الآتية:

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الوصية بالجار، 2025/4، رقم 143.

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، 2240/5، حديث رقم: 5670.

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، 68/1، حديث رقم: 73.

ففي الصحيح عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»[1]. بمثل هذه القيم كانت دعوةُ النبي ﷺ يسرا في كل شيء، وذودا عن حرمات الله، لا عن عرض الدنيا، أو أهواء النفوس.

وفي هذا السياق تعددت صور السماحة في هدي النبي ﷺ مع غير المسلمين، وشواهد ذلك من سيرته لا تحصر وأذكر منها سبيل المثال ما يلي:

1-رحمته ﷺ بالخلق عامة، وهو الذي قال الله -عز وجل- عنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: 107]، فكان ﷺ الرحمة المهداة إلى الخلق كلهم، وقد حث على العطف على الناس ورحمتهم، فقال ﷺ: «لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ»[2]، وكلمة الناس هنا تشمل كل أحد من الناس، دون اعتبار لجنسهم، أو دينهم وجاءت النصوص في باب الرحمة مطلقة، وقد ساق البخاري في باب رحمة الناس والبهائم حديثا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةً»[3]، فالإسلام دين السماحة والرحمة يسع الناس كلهم ويغمرهم بالرحمة والإحسان.

---

[1] . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ رقم الحديث: 3560.

[2] . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الإسراء: 110] رقم الحديث: 7376.

[3] . البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث: 6012.

2–تجاوزه ﷺ عن مخالفيه ممن ناصبوه العداء؛ فقد كانت سماحته يوم الفتح غاية ما يمكن أن يصل إليه صفح البشر وعفوهم؛ فكان موقفه ممن كانوا حربا على الدعوة، ولم يضعوا سيوفهم بعد عن حربها أن قال لهم: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»[1].

3–دعاؤه ﷺ لمخالفيه من غير المسلمين؛ فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ، وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا. فَقِيلَ هَلَكَتْ دَوْسٌ –ظنا منهم بأن النبي ﷺ إنما رفع يديه للدعاء عليها– فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ»[2]. ودعا ﷺ لأم أبي هريرة قبل إسلامها؛ فقد روي في الصحيح عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ –وَهِىَ مُشْرِكَةٌ– فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا جِئْتُ، فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ[3]، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ[4] قَدَمَيَّ فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ، وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا،

[1] . السيرة النبوية، ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1415هـ، ج 4، ص 61.

[2] . أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ غِفَارَ وَأَسْلَمَ وُجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَمُزَيْنَةَ وَتَمِيمٍ وَدَوْسٍ وَطَيِّئٍ.رقم رقم الحديث: 6611.

[3]. المجاف: المغلق.

[4]. الخشف: حركة المشي وصوته.

وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتِ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ – وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ – قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْشِرْ؛ قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. «فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ خَيْرًا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا، وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا –يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ– إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ». فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلاَ يَرَانِي إِلاَّ أَحَبَّنِي[1].

4– دعاؤه ﷺ لثقيف لا عليها؛ فعن غُطَيْفِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَتَتِ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ عَلَى ثَقِيفٍ، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا» فَعَادُوا فَعَادَ، فَأَسْلَمُوا فَوُجِدُوا مِنْ صَالِحِي النَّاسِ إِسْلَامًا، وَوُجِدَ مِنْهُمْ أَئِمَّةٌ وَقَادَةٌ. وَقَدِمَ وَفْدُهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْقُبَّةَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ عُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُمْ يَا عُمَرُ، فَإِنَّهُمْ سَيَسْتَحْيُونَ أَلَّا يُصَلُّوا» فَمَكَثُوا يَوْمَهُمْ لَا يُصَلُّونَ وَالْغَدَ، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْعَصْرِ صَلَّوْا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَقَالَ عُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّوْا بِلَا وُضُوءٍ، فَقَالَ ﷺ: «دَعْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ سَيَتَوَضَّأُونَ» حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ غَسَلُوا وُجُوهَهُمْ وَرُءُوسَهُمْ، وَأَعْنَاقَهُمْ، وَأَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمَنَاكِبِ، وَتَرَكُوا الْأَرْجُلَ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُمْ فَعَلُوا كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: «دَعْهُمْ فَإِنَّهُمْ سَيَتَوَضَّأُونَ» وَغَدَوَا الْيَوْمَ الْخَامِسَ، فَغَسَلُوا الْبُطُونَ وَالظُّهُورَ، فَأَتَى عُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– النَّبِيَّ ﷺ

[1]. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة رضى الله عنه رقم الحديث : 6551.

فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «دَعْهُمْ عَنْكَ» فَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ بَعْدُ، حَتَّى قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ هَدِيَّةٌ مِنَ الطَّائِفِ: عَسَلٌ وَزَبِيبٌ، وَرُمَّانٌ، وَشِنَانُ[1] فِرْسِكٍ[2] مُرَبَّبٍ، فَأَهْدَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «صَدَقَةٌ أَمْ هَدِيَّةٌ؟» فَقَالُوا: بَلْ هَدِيَّةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِقَاءً مِنَ الْعَسَلِ قَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالُوا: ضَرِيبٌ[3]، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ فَتَحَ الثَّانِي فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: ضَرِيبٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا أَطْيَبَ رِيحَهُ، وَأَطْيَبَ طَعْمَهُ» وَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَامُوا عَنْهُ، وَأَهْدَى لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ شَاةً مَطْبُوخَةً بِلَبَنٍ، فَالْتَمَسَ الْعِوَضَ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَقَالَ: «هَلْ رَضِيتَ؟» قَالَ: لَا ، فَدَخَلَ فَأَعْطَاهُ، وَقَالَ: «هَلْ رَضِيتَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «وَيْحَكَ، لَا تُبَجِّلْنِي؛ فَإِنِّي لَمْ أُخْلَقْ بَخِيلًا، وَلَا جَبَانًا» فَالْتَمَسَ فَجَاءَهُ بِقَبْضَةٍ[4] مِنْ شَعِيرٍ، وَسُلْتٍ[5]، وَتَمْرٍ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ثُمَّ قَالَ: «هَلْ رَضِيتَ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: «لَا أَتَّهِبُ إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ، أَوْ ثَقَفِيٍّ؛ فَإِنَّهُمَا حَيَّانِ لَا يَتَعَجَّلَانِ الثَّائِبَةَ»[6].

---

[1]. الشِّنَانُ: القِرَبُ.

[2]. الفرسك: الخوخ، أو ضرب منه، أو ما لا يتعلق عن نواه.

[3]. الضريب والضرب: مصدر بمعنى مضروب وهو: العسل الأبيض الغليظ، وقيل عسل البر (تاج العروس 1: 348) والضريب من الفاكهة الناضج يقال: أضرب الخبز؛ أي: نضج.

[4]. القبضة بالفتح والضم: أكثر ما قبضت عليه من شئ،، أو ملء الكف. يقال: أعطاه قبضة من تمر، أو سويق؛ أي: كفا.

[5]. السلت: الشعير، وقيل ضرب منه ليس له قشر، كأنه الحنطة، ويكون بالغور، أو الحجاز.

[6].أخرجه الترمذي في سننه، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 729/5، رقم الحديث: 3942 من طريق أبي الزبير عن جابر، قال: قالوا: «يا رسول الله، أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم، قال: «اللهم اهد ثقيفا» وقال الترمذي: هذا

5- سماحة معاملة النبي ﷺ للمسلمين ولغيرهم في حديث التشميت؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ، أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَلْيَقُلْ: «يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[1]. ذكر ابن حجر في شرحه للحديث المذكور أن اليهود كانوا يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لهم: يرحمكم الله، فكان يقول: «يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[2] أي: أن النبي ﷺ لم يحرم اليهود من الدعوة بالهداية والصلاح رغم كفرهم بالإسلام.

6- من سماحته ﷺ أنه كان يقبل الهدية من المسلمين، ومن مخالفيه من غير المسلمين؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلاَ نَقْتُلُهَا، قَالَ: لاَ» فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ[3] رَسُولِ اللهِ ﷺ»[1]. وذكر ابن حجر في شرح الحديث

حديث حسن صحيح غريب، وقال الشيخ الألباني: ضعيف. وأخرجه أحمد في مسند من طريق أبي الزبير عن جابر أيضا بلفظ: «اللهم اهد ثقيفا» قال عبد الله: وسمعته أنا من محمد بن الصباح فذكر مثله. وقد علق عليه شعيب الأرنؤوط بقوله: إسناده قوي على شرط مسلم، وأخرجه ابن شبه أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت: 262هـ) في تاريخ المدينة النبوية من الطريق المذكور في المتن أعلاه، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، 499/2. باللفظ المذكور في المتن.

1. أخرجه البخاري صحيحه في كتاب الأدب، باب إِذَا عَطَسَ كَيْفَ يُشَمَّتُ، حديث: 6224.

2. ينظر ابن حجر، فتح الباري، 604/10.

3 . قول أنس فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ فاللهوات جمع لهاة، ويجمع أيضا على لُهًى، بضم أوله، والقصر منون، ولهيان وزن إنسان، ومراد أنس أنه ﷺ كان يعتريه المرض من تلك الأكلة أحيانا، ويحتمل أن يكون أنس أراد أنه يعرف ذلك في اللهوات بتغير لونها أو بنتوء فيها أو تحفير. ينظر ابن حجر، فتح الباري 247/10.

أنه: لما فتحت خيبر أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم للنبي ﷺ شاة مشوية فيها سم، ولما قال لها: ما حملك على ذلك؟ قالت: أردت إن كنت نبيا فيطلعك الله وإن كنت كاذبا فأريح الناس منك[2]. وقد قرر الفقهاء جواز قبول الهدايا من الكفار بجميع أصنافهم، حتى أهل الحرب، قال صاحب المغني: «ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب؛ لأن النبي ﷺ قبل هدية المقوقس صاحب مصر»[3].

7- من سماحته ﷺ أنه كان يخاطب مخالفيه باللين من القول تأليفا لهم، كما تظهر سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين في كتبه إليهم؛ حيث تضمنت هذه الكتب دعوتهم إلى الإسلام بألطف أسلوب وأبلغ عبارة.

8- من سماحته ﷺ أنه يذهب إلى مخالفيه في دُورِهِمْ؛ فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ فِى الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ» فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَاهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا» فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا» فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ». فَقَالَ لَهُمُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنِّى أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلاَّ فَاعْلَمُوا

1 . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: قَبُولِ الْهَدِيَّةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، رقم الحديث: 2617 .

2 . ينظر فتح الباري 247/10.

3 . المغني ، ابن قدامة ، ج13 ص200.

أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»[1]. كما ورد في البخاري عَنْ أَنَسٍ، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- «أَنَّ غُلاَمًا لِيَهُودَ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَالَ أَسْلِمْ فَأَسْلَمَ»[2].

9- من سماحته ﷺ أنه كان يعامل مخالفيه من غير المسلمين في البيع والشراء والأخذ والعطاء فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: « تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلاَثِينَ» يَعْنِي صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ[3]. وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْعًا، أَمْ عَطِيَّةً»، أَوْ قَالَ: «أَمْ هِبَةً؟» قَالَ: لاَ، بَلْ بَيْعٌ فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً[4].

10- من سماحة معاملته ﷺ للمسلمين ولغيرهم أنه ﷺ كان يأمر بصلة القريب -وإن كان غير مسلم- فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي -وَهْيَ مُشْرِكَةٌ- فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، رقم الحديث : 4690.

2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى ، باب عيادة المشرك، رقم الحديث: 5657.

3. أخرجه البخاري في صحيه، كتاب الجهاد والسير، باب مَا قِيلَ فِي دِرْعِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْقَمِيصِ فِي الْحَرْب، رقم الحديث: 2916.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، رقم الحديث: 2216.

اللهِ ﷺ قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ، وَهْيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: « نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ»[1].

وهكذا، يمكن القول بأنه من خلال سماحته ﷺ فقد تمكن من تأسيس مجتمع في المدينة، متماسك متعايش سلميا يعد المجتمع الإسلامي الأول؛ عاش في كنفه اليهود بعهدهم مع المسلمين، وكان ﷺ غاية في الحلم معهم والسماحة في معاملتهم، حتى نقضوا العهد، وخانوا رسول الله ﷺ. أما من عاشوا بين المسلمين واحترموا قيمهم ومجتمعهم، فكان لهم الضمان النبوي؛ الذي ضمن لمن عاش بين ظهراني المسلمين بعهد، وبقي على عهده أن يحظى بمحاجة النبي ﷺ لمن ظلمه؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

ويؤكد هذا الوعيد على من يهتك حرمة المعادين ودمائهم ما رواه عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[3]. وعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ، قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَيْبَرَ، وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ،

---

[1]. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، رقم الحديث : 2620.

[2]. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة، دار الكتب العلمية، بيروت رقم الحديث: 3054 وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ينظر الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1 ، 1409هـ، ج 2 ص 59.

[3]. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، رقم الحديث: 3166.

وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ رَجُلاً مَارِدًا مُنْكَرًا، فَأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا حُمُرَنَا، وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا، فَغَضِبَ -يَعْنِى النَّبِىَّ ﷺ- وَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ، ارْكَبْ فَرَسَكَ، ثُمَّ نَادِ: أَلاَ إِنَّ الْجَنَّةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لِمُؤْمِنٍ، وَأَنِ اجْتَمِعُوا لِلصَّلاَةِ». قَالَ: فَاجْتَمَعُوا، ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ النَّبِىُّ ﷺ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: « أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلاَّ مَا فِى هَذَا الْقُرْآنِ، أَلاَ وَإِنِّي وَاللَّهِ، قَدْ وَعَظْتُ وَأَمَرْتُ، وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ، إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ، أَوْ أَكْثَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ بِإِذْنٍ، وَلاَ ضَرْبَ نِسَائِهِمْ، وَلاَ أَكْلَ ثِمَارِهِمْ إِذَا أَعْطَوْكُمُ الَّذِى عَلَيْهِمْ»[1].

تلك صور من سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين، وهو ما سار عليه الصحابة والتابعون -رضي الله عنهم- من بعده، وهو ما سأعرض له في المطلب الآتي.

المطلب الرابع- صور من سماحة الصحابة والتابعين في معاملة غير المسلمين:

كان عهد الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبي ﷺ وشهد صورا من سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال، أو النفس عند الحاجة، ومن كفالة العاجز منهم أو كبير السن عن العمى، وغير ذلك. وهذا هو ما سار عليه الخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم- في صدر الإسلام في معاملتهم لأهل الذمة، وهذه بعض الشواهد والأمثلة التي تبين ذلك:

[1]. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب فِى تَعْشِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذَا اخْتَلَفُوا بِالتِّجَارَاتِ، 3052 وصححه الألباني، في صحيح سنن أبي داود، ينظر الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1 ، 1409هـ ، ج 2 ص 59.

1- في خلافة أبي بكر -رضى الله عنه- كتب خالد بن الوليد -رضى الله عنه- في عقد ذمة النصارى لأهل الحيرة بالعراق: «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله»[1]. ولهذا فإن الذين يسعون إلى تقرير التكافل الاجتماعي، وبيان صوره لن يجدوا أعظم من هذه الصورة في الإسلام مع مخالفيه فهو يتسامى بمن يعيشون في كنفه، ويتكفلهم اجتماعيا عندما يحتاجون إلى مواساة لأي سبب من الأسباب، بل يجعلهم عيالا على بيت مال المسلمين -أيا كانت ديانتهم-. فالتكافل الاجتماعي في الإسلام لا يرضى أن يذل رجل من أهل الذمة، وهو يعيش في كنف الإسلام؛ بل يتكفه الإسلام، ويحميه، ويكرمه، ويوجب على الدولة أن تعوله وتعول عياله[2].

2- كان أبو بكر -رضى الله عنه- يوصي الجيوش الإسلامية بقوله: «وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله، فدعوهم، ولا تهدموا صوامعهم»[3].

3- أوصى عمر -رضى الله عنه- الخليفة من بعده بأهل الذمة أن يوفيَ لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم.

---

[1] . كتاب الخراج ، أبو يوسف ، ص 306 .

[2] . الموسوعة في سماحة الإسلام ، ج 1 ص 446 .

[3] . فتوح الشام ، الواقدي ، دار الجيل بيروت ، د ت ، ج 1 ص 8 .

4- مر عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- بباب قوم عليه سائل يسأل شيخا كبيرا ضرير البصر فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: انظر هذا وضرباءه، فوالله، ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ﴾[التوبة: 60] والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية، وعن ضربائه[1].

5- يجب أن تكون السماحة في المعاملة في ضوء ضوابط الشرع ومقاصده، ومثل ذلك يتطلب أن يكون المسلم على بصيرة بهدي النبي ﷺ وسلف الأمة من الصحابة والتابعين في هذا الشأن، فمن صور السماحة في المعاملة ما روي عن عمر -رضي الله عنه- أنه لما قدم الجابية من أرض الشام استعار ثوبا من نصراني فلبسه حتى خاطوا قميصه وغسلوه، وتوضأ من جرة نصرانية، وصنع له أهل الكتاب طعاما فدعوه فقال: أين هو؟ قالوا: في الكنيسة، فكره دخولها وقال لعلي -رضى الله عنه-: اذهب بالناس، فذهب علي -رضى الله عنه- بالمسلمين، فدخلوا، فأكلوا، وجعل علي -رضى الله عنه- ينظر إلى الصور وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل.

6- من السماحة أن يراعى في معاملتهم كل مصلحة، وقصد صحيح؛ فعن عبد الله بن قيس قال: كنت فيمن تلقى عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة مقدمه من الشام؛ فبينما عمر يسير إذ لقيه (المقلسون) وهم قوم يلعبون بلعبة

[1] . كتاب الخراج ، أبو يوسف ، ص 126 .

لهم بين أيدي الأمراء إذا قدموا عليهم بالسيوف والريحان فقال عمر –رضى الله عنه–: مه، ردوهم وامنعوهم، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، هذه سنة العجم، أو كلمة نحوها، وإنك إن تمنعهم منها سروا أن في نفسك نقضا لعهدهم فقال: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة[1].

7– صلى سلمان، وأبو الدرداء –رضي الله عنهما– في بيت نصرانية فقال لها أبو الدرداء –رضى الله عنه–: هل في بيتك مكان طاهر فنصلي فيه؟ فقالت: طهرا قلوبكما، ثم صليا أين أحببتما، فقال له سلمان –رضى الله عنه–: خذها من غير فقيه[2].

8– جاء في صفة الصفوة أن عمر بعث عميرا عاملا على حمص، فمكث حولا لا يأتيه خبره، ولم يبعث له شيئا لبيت مال المسلمين، فقال عمر لكاتبه، اكتب إلى عمير: فو الله، ما أراه إلا قد خاننا، إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين، حين تنظر في كتابي هذا.

فأخذ عمير –لما وصله كتاب عمر– جرابه، فوضع فيه زاده، وقصعته، وعلق إداوته، وأخذ عنزته، ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة، فقدم – وقد شحب لونه، واغبر وجهه– فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، ورحمة الله، قال عمر: ما شأنك؟ قال: ما تراني صحيح البدن ظاهر الدم معي الدنيا أجرها بقرونها؟ قال عمر: وما معك؟ وظن عمر أنه جاءه

[1] . كتاب الأموال ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، دار إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، 1987م ص 180 .

[2] . إغاثة اللهفان ، ابن القيم ، ج1 ص 153 .

بمال. قال: معي جرابي، أجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها، وأغسل فيها رأسي وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، ومعي عنزتي أتوكأ عليها، وأجاهد بها عدوا إن عرض لي، فوالله، ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. وسأله عمر عن سيرته في قومه، وعن الفيء، فأخبره فحمد فعله فيهم، ثم قال: جددوا لعمير عهدا.

قال عمير: إن ذلك شيء لا أعمله لك، ولا لأحد بعدك، والله، ما سلمت، بل لم أسلم، لقد قلت لنصراني: أخزاك الله، فهذا ما عرضتني له يا عمر، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك[1].

لقد عظم على عمير قوله لرجل من غير المسلمين: أخزاك الله، وهو دعاء، وما ذكر خطأ اقترفه في ولايته على حمص أعظم من هذا، وفي ذلك دليل على أن هذا الدين ما جاء إلا بالرحمة والهداية وإنقاذ البشر من الضلال إلى الهدى، ومن ظلمات الكفر إلى نور الطاعة، ولا عجب، فمن مدرسة النبوة تخرج هذا الصحابي وغيره ممن لا يؤذون الناس؛ بل يغمرونهم بعطفهم، ورحمتهم، وسماحتهم، وإحسانهم، ولذا قال عنه عمر: إنه نسيج وحده وقال: وددت أن لي رجلا مثل عمير بن سعد استعين به على أعمال المسلمين[2].

وهكذا فإن الدعاء لغير المسلمين وفق ضوابط الشرع من أعظم صور التسامح في الإسلام، ومن محاسنه الكبرى التي تنظر إلى الإنسان نظرة تكريم

---

[1] . صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 1409 هـ ، ج 1 ص 354 .

[2] . البخاري في الأدب المفرد باب كيف يدعو للذمي ؟ وحسنه الألباني ، انظر : صحيح الأدب المفرد ، الألباني ، ص 430 رقم الحديث 847 .

وعناية، وفي الدعاء استمالة ظاهرة لقلب المدع؛و فكل أحد يتمنى من الناس الدعاء له بالخير، ومن هنا قال ابن عباس –رضى الله عنه– لو قال لي فرعون: بارك الله فيك قلت: وفيك، وفرعون قد مات.

9– عن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمرو –رضى الله عنه– وغلامه يسلخ شاة، فقال: «يا غلام إذا فرغت، فابدأ بجارنا اليهودي، فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟ قال: سمعت النبي ﷺ يوصي بالجار حتى خشينا، أو روينا أنه سيورثه»[1].

10– في خلافة عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– كتب إلى عدي بن أرطأة: وانظر من قبلك من أهل الذمة، قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه[2]. وهذا لون من السماحة في المعاملة والعدل، الذي لا يعرف له وجود إلا في الإسلام؛ لأنه قائم على احترام الإنسانية ومعرفة حقوقها.

11– عندما أمر عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– مناديه ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها. فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي. والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس، ما تقول؟ قال: نعم أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد، وكتب لي بها سجلا، فقال عمر: ما

---

[1] . البخاري في الأدب المفرد ، باب جار اليهودي ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الأدب المفرد ، الألباني ص 72 رقم الحديث : 95 .

[2] . .

تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد. قم فاردد عليه ضيعته، فردها عليه[1].

12- في عهد الرشيد كانت وصية القاضي أبي يوسف له بأن يرفق بأهل الذمة؛ حيث يخاطبه بقوله: «ينبغي يا أمير المؤمنين -أيدك الله- أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة، نبيك، وابن عمك، محمد ﷺ والتفقد لهم حتى لا يظلموا، ولا يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم»[2].

بمثل هذه المعاملة ساد المسلمون الأوائل، وكانت معاملتهم محط إعجاب مخالفيهم، فشهدوا لهم بالسمو في أخلاقهم والتسامح في معاملتهم .

المبحث الثالث: ماليزيا والتركيبة السكانية والدينية

تقع ماليزيا في جنوب شرق آسيا، وتبلغ مساحتها 330 ألف كلومتر مربع، ومناخها استوائي دائم الأمطار والحرارة على مدار السنة، وتغطي الغابات والأدغال نحو 68% من مساحتها الكلية. وتتمتع بثروات طبيعية من القصدير والنفط والغاز والأخشاب والنحاس والبوكسايت[3].

تتميز ماليزيا بتعدد أجناسها وأديانها، حيث تتواجد هناك ثلاث فئات عِرقية كبيرة، هي: الملايو والصينيون والهنود، وعندما استقلت ماليزيا سنة

---

1 . .

2 . الخراج ، أبو يوسف ، دار المعرفة ، بيروت ، 1399هـ ص 125 .

3. http://www.tourism.gov.my/about_malaysia/index.php

https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/my.html

1957م من الاحتلال الإنجليزي، كان التقسيم العرقي في شبه جزيرة الملايو يشير إلى أن الملايو يشكلون حوالي: 50% من السكان، بينما يشكِّل الصينيون حوالي: 37%، ويشكل الهنود حوالي: 12% وقد رفع انضمام ولايتي صباح، وسرواك إلى الاتحاد الماليزي سنة 1963م إلى حدٍّ ما من نسبة الملايو، كما زادت نسبتهم مع الزمن؛ بسبب ارتفاع نسبة التكاثر مقارنة بنسبة من الصينيين والهنود.

يبلغ عدد سكان ماليزيا سنة 2011 حوالي: 28 مليونًا و334 ألفًا، وتشير الإحصائيات إلى أن عدد من يحملون الجنسية الماليزية قد بلغ 26 مليونًا؛ حيث بلغت نسبة ما يُعرَف بأبناء البلد Bumiputra من بينهم 67.4% (وأغلبيتهم الساحقة من الملايو)، بينما بلغت نسبة الصينيين حوالي: 24.6%، ونسبة الهنود حوالي: 7.3%، ونسبة الآخرين حوالي: 0.8%؛ أما المقيمون من غير الماليزيين فيبلغ عددهم حوالي: 2.321 (مليونان وثلاثمائة وواحد وعشريو ألفًا؛ أي بنسبة حوالي: 8.2% من العدد الكلي للسكان[1].

الملايو هم أكبر المجموعات العِرقية وأكثرها تجانسًا، فكلهم مسلمون، وكلهم يتحدثون اللغة الملايوية أو الماليزية (Bahasa Malaysia)[2]. ويشكّل الصينيون ثاني أكبر المجموعات العرقية في ماليزيا، ويتميز الصينيون

---

1. Department of Statistics, Malaysia Official Website, "Population and Vital
http://www.statistics.gov.my/portal/download_Buletin_Bulanan/files/BPBM/2012/APR/05_Population.pd

2. Harold Crouch, op. cit., p. 15 .

بالنشاط، والقدرة على التنظيم والعمل المتواصل أكثر من غيرهم، ويتركزون في المدن. وقد أسهمت قوة العلاقات الداخلية الاجتماعية بين الصينيين ودعمهم لبعضهم بعضًا، والجمعيات السرية الناشطة في أوساطهم، في تحسين أوضاعهم المادية، وفي سيطرتهم على معظم الأعمال التجارية الصغيرة والمتوسطة، وعلى العديد من القطاعات الاقتصادية، وبخاصة البنوك، وشركات التأمين ومناجم القصدير... وغيرها[1]. أما الهنود فمعظمهم من التاميل (Tamil) الذين قدموا من جنوب الهند، وهذه نسبة الديانات الموجودة في ماليزيا، حسب آخر إحصاء رسمي تمّ في سنة 2000م:

-المسلمون غالبيتهم الساحقة من الملايو، يشكلون تقريبا بنسبة 60.4% من السكان.

-البوذيون غالبيتهم الساحقة من الصينيين، يشكِّلون تقريبا نسبة 19.2% من السكان.

-الهنود معظمهم من الهندوس Hindu، يشكلون نسبة 6.3% من السكان.

المسيحيون وأغلبهم من الصينيين مع عدد قليل من الهنود، ويشكلون نسبة 9.1% من إجمالي السكان.

[1] . http://www.tourism.gov.my/about_malaysia/?view=culture

هناك من يتبع أديانًا تقليدية صينية (نحو 2.6% من مجمل السكان) كالكنفوشيوسية Confucianism، والطاوية[1] Taoism.

المطلب الأول- النظام السياسي في ماليزيا وعناصر نجاحه:

الحكم في ماليزيا ملكي دستوري، ونظام الحكم فيدرالي يجمع 14 ولاية ماليزية، وهناك حكومة فيدرالية مركزية يرأسها رئيس الوزراء، الذي يفوز حزبه في الانتخابات على مستوى الدولة، وهو ذو صلاحيات واسعة، كما أن هناك حكومات محلية للولايات، يرأس كلاً منها رئيس الوزراء الذي يفوز حزبه في الانتخابات على مستوى الولاية.

وقد وفّر نظام الحكم مجموعة من الضمانات والإجراءات التي تعطي للدولة صبغة ملايوية، كالملكية، ولغة الملايو، ودين الدولة الإسلام، وتضمن سيطرة الملايو على الحياة السياسية، وعلى الخدمة المدنية، فضلاً عن إعطائهم بعض المزايا الاقتصادية والتعليمية[2].

يضمن نظام الحكم أن يكون الملك Agong من بين سلاطين الملايو التسعة، ويحكم كلٌّ منهم بالوراثة إحدى الولايات الماليزية (التي كانت سلطنة قبل الاستقلال). ويقوم مجلس السلاطين باختيار ملك مرة كل خمس سنوات.

---

[1] . Official Website, Population And Malaysia Department of Statistics, Housing Census 2000 http://www.statistics.gov.my/english/census/pressdemo.html

[2] . حول النظام الماليزي انظر: Jayum Anak Jawan, Malaysian Politics and Government (Shah Alam-Malaysia: Karisma Publications, 2003), pp. 62-157

ولذلك لم يكن غريبًا أن يشهد مهاتير بن محمد، عندما كان رئيسًا للوزراء في الفترة 1981–2003، عهود خمسة ملوك لماليزيا، وسلطات الملك في ماليزيا أقرب إلى سلطات الملك في بريطانيا؛ فهو يملك ولا يحكم، ويقوم بسلطات رمزية في معظم الأمور، ويتصرف بناءً على نصيحة الحكومة؛ وهو القائد الأعلى للجيش، وقد تمكَّن مهاتير محمد من تقليص صلاحيات السلاطين سنة 1993، عندما تمت الموافقة على رفع الحصانة عنهم، بما يُجَوِّزُ محاكمتهم قضائيًا في محاكم خاصة في حالة اتهامهم؛ كما قُلِّلت صلاحياتهم في إعطاء العفو الملكي.

المطلب الثاني: التعايش والمشاركة بين جميع الأطياف في ماليزيا

يعد التكوين الطائفي والعرقي في ماليزيا شديد التعقيد والحساسية؛ ولذلك ارتأت القيادة السياسية أنها بحاجة إلى استقرار سياسي وأمني واجتماعي، وإلى توفير البيئة المناسبة للتمكن من تحقيق نمو اقتصادي تستفيد منه كافة شرائح المجتمع –وإن بدرجات متفاوتة– وكانت القيادة السياسية تعلم أنها لن تحقق أهدافها إلا بشكل نسبي، ولن تحصل على الرضا التام من كل الأطراف، أو من أي منها، ولذلك اعتقدت أنها لن تستطيع العمل الفعال المنتج إلا في أجواء تكون فيها واثقة من صلاحياتها، ومَحمية من المعارضين والخصوم. وقد تكرّست هذه الاتجاهات بعد أحداث 1969، حيث رأى تون عبد الرزاق الذي تولى رئاسة الوزراء سنة 1970، أنه لابد من تخفيف درجة الاحتقان العرقي، من خلال تخفيف المنافسة السياسية؛ فعمل على توسيع التحالف الحاكم؛ بحيث يضمن أغلبية ثلثين مريحة له في البرلمان، كما قوّى من صلاحيات السلطات

المركزية، وقد تابع مهاتير محمد سياسة تقوية السلطات المركزية، وتركيز الصلاحيات بيد رئيس الوزراء.

ويتبع مكتب رئيس الوزراء وكالة مكافحة الفساد، والمدعي العام، ووحدة التخطيط الاقتصادي وقسم التطوير الإسلامي (الشؤون الإسلامية)، ولجنة الانتخابات المركزية، وشركة البترول الوطنية (بتروناس)، ولجنة الخدمات العامة. ولرئيس الوزراء أن يعلن حالة الطوارئ في البلاد، وأن يحكم في أثنائها من خلال مراسيم تأخذ قوة القانون. ويُعدّ قانون الأمن الداخلي Internal Security Act (ISA) أحد أقوى الأدوات التي تدعم السلطة المركزية في مواجهة معارضيها، أو في مواجهة أي من قلاقل محتملة، وقد أُجيز هذا القانون سنة 1960، وأعطى الشرطة صلاحية اعتقال أي شخص بتهمة تهديد الأمن الوطني لمدة شهرين دون محاكمة، ويمكن أن يُجدد الاعتقال دونما حدود قصوى، وليس للقضاء أية سلطة قانونية على هؤلاء المعتقلين.

وهناك قوانين تَحدّ من حرية الإعلام، وتمنع القوانين الماليزية كل الأنشطة التي تسبب السخط ضد الحكومة أو ضد القضاء، أو ما يمكن أن يؤدي إلى حالة من السخط الاجتماعي، أو القلاقل بين أعراق المجتمع وطوائفه، وهناك قوانين أخرى تمنع طلاب الجامعات والاتحادات النقابية من النشاطات السياسية؛ على أنه يجب ملاحظة أن السلطات لا تستخدم كافة القوانين بشكل دائم متعسف، ولكنها تلجأ إليها كلما رأت مصلحة (من وجهة نظرها) في ذلك.

لقد مكنت أغلبية الثلثين التي يحصل عليها التحالف الحاكم عادة، من وجود أغلبية جاهزة ليس فقط لإصدار القوانين، وإنما لتغيير الدستور أيضًا، وفي الفترة 1957–1996 تم إجراء 42 تعديلاً دستوريًا[1] .

ولم تتعرض ماليزيا إلى عدوى الانقلابات العسكرية التي انتشرت في العالم الثالث، واستطاعت السلطات المدنية أن تفرض سلطتها على القوات العسكرية، وأن تمنعها من ممارسة أي دور سياسي، وكان كل وزراء الدفاع في ماليزيا من المدنيين، وهذه من النجاحات التي تُحسب للنظام السياسي.

وهكذا استطاعت ماليزيا أن تحقق أنموذجا يحتذى به في التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في التاريخ المعاصر، وعلى الدول العربية والإسلامية الاستفادة من هذه التجربة الفريدة في عالمنا الإسلامي الذي أصبح تمزقه الحروب والخلافات العرقية والقبيلة والدينية والمذهبية وصار متخلفا لا يستطيع أن يصنع المناديل التي يستخدمها في تنظيف الأنوف أو أثناء دخول الحمامات، أما عن صناعة السيارات والطائرات ومحطات توليد الكهرباء..، فذلك ضرب من المستحيل؛ لأنك لو تكلمت عن هذه الصناعات فيقال هذه العلوم ليست من علوم المسلمين، بل هي خاصة بالكفار، وما رأيك في العلم الشرعي الفلاني؟ وما رأيك في الشيخ الفلاني وعلمه؟ وهذا الشيخ يبدع فلان ويفسق فلان... حتى فرضوا على الجميع أن يستخدم هذه المنتجات دون أن ينتجها.

[1] . النموذج السياسي الماليزي وادارة الاختلاف، د. محسن صالح، ص28

المطلب الثالث– النظام الديني (الديموقراطي) في المملكة:

كان موضوع علاقة الدين بالدولة، في بلد متعدد الأديان والأعراف والثقافات أمرًا يتسم بالحساسية والدقة وفوق ذلك فإن المسلمين، على الرغم من أنهم أبناء البلد فإن نسبتهم العددية –عند إعلان استقلال ماليزيا– كانت في حدود نصف السكان فقط، في حين أن الصينيين رغم قلة عددهم فإن قوتهم الاقتصادية تتجاوز نفوذ الملايو المسلمين بأَضعاف مضاعفة، وهذا يعني أن الحزب المسلم الحاكم "أمنو" UMNO مضطر للتحالف مع الصينيين وفق اللعبة الديمقراطية، والنظام الانتخابي الحرة، مما يعطي للصينيين قوة سياسية، ودورًا في صياغة الاتجاهات العامة للدولة.

وفي مثل هذه الأوضاع، ومع وجود قيادة للمسلمين الملايو ذات ثقافة غربية، تم الاتفاق على علمانية الدولة وعلى ضمان الحريات والحقوق الدينية والثقافية لمختلف الطوائف بماليزيا؛ ولهذا فإن الدستور الماليزي تميز بمواد قلَّ نظيرها في أي بلد آخر؛ حيث عرَّف الدستور الإنسان الملايو بأنه: الشخص المسلم، الذي يتكلم لغة الملايو، ويمارس عاداتهم، وبالتالي، فمن الناحية العملية لهذا التعريف القانوني فإن كل الملايو مسلمون، وإن ابن الملايو الذي يترك الإسلام بالانتقال إلى دين آخر، لا يُعد من الناحية القانونية منتميًا إلى الملايو، وهذا يعني تداخلاً بين ما هو ديني وبين ما هو قومي؛ بحيث حملت قومية الملايو صفة دينية؛ فكان الإسلام عنصرًا حاسمًا في تحديد هويتهم.

كما وصف الدستور الماليزي دين الدولة بأنه الإسلام، وعُدَّ ملك ماليزيا راعيًا للإسلام في البلد، ومنع غير المسلمين من نشر دينهم وسط المسلمين،

لكنه سمح لهم بنشره وسط غير المسلمين، كما سمح للمسلمين بنشر دينهم وسط غيرهم من أبناء الأديان الأخرى[1].

وقد تعامل الصينيون والهنود بشكل عام بروح إيجابية مع الوضع الخاص الذي كفله الدستور للملايو المسلمين، خصوصًا وأنهم قد ضمنوا حقوق المواطنة والحريات الدينية والثقافية، وأصبح ذلك نوعًا من العقد الاجتماعي الذي ارتضته مكونات المجتمع الماليزي، كما أن العديد من النصوص القانونية اتخذت شكلاً رمزيًا، لا يمس جوهر النظام العلماني، وظلت التطبيقات القانونية الإسلامية محصورة –مثل معظم بلدان العالم الإسلامي– في قانون الأحوال الشخصية الذي لا يُطبق على غير المسلمين.

وكما أن الطبيعة العامة للماليزيين اتسمت بالاعتدال والتسامح فإن طبيعة القيادة الماليزية اتسمت بعلمانية معتدلة، تعاملت بروح إيجابية مع الإسلام، والمؤسسات والرموز الدينية، ولذلك لم يكن مستغربًا انتشار الحجاب في أوساط نساء الحزب الحاكم، وظهور المذيعات المحجبات على شاشة التلفزيون الماليزي قبل أي من البلدان الإسلامية وإنشاء البنوك والشركات الإسلامية، والجامعة الإسلامية العالمية، ووجود المئات من المدارس الدينية في كل مكان في ماليزيا، فصار يؤمها معظم أطفال المسلمين بعد انتهاء دوامهم في المدارس العادية، كما صدر قانون للطعام الحلال وقانون آخر يمنع الخلوة بين الرجل والمرأة المسلمين، كما كان من مظاهر اعتدال الحكم في ماليزيا أن الدولة لم تلجأ إلى قمع التيارات الإسلامية السياسية أو مطاردتها، وإنما فضلت أسلوب التعايش السلمي معها، واحتوائها، والتنافس معها والسماح باستخدام

[1] . المرجع السابق: انظر: http://milexdata.sipri.org/result.php4؛

بعض الأدوات (الإعلامية أو الاقتصادية...) بما يخدم بناء الدولة الماليزية العصرية دون اللجوء إلى العنف.

وفي هذا السياق استطاع الماليزيون تطوير العقد الاجتماعي مما جعله أحد عناصر نجاح التجربة، وأحد ضمانات استمرارها؛ من ذلك الاعتراف بالتنوع العرقي والديني، والاعتراف بوجود اختلالات حقيقية في مستويات الدخل والتعليم بين فئات المجتمع، والتوافق على ضرورة نزع فتائل التفجير، وعلاج الاختلالات بشكل هادئ وواقعي وتدريجي... كل ذلك كان مدخلاً لتوفير شبكة أمان واستقرار اجتماعي وسياسي، ولذا كان من الضروري وضع شروط لعبة يكسب فيها الجميع Win–Win Game. وقد أسهم وجود قيادات سياسية واعية، ذات رؤى استراتيجية في تبني هذه اللعبة، وترك اللعبة التي تقتضي وجود رابح وخاسر Win–Lose Game، التي كثيرًا ما تكون نتيجتها أن الجميع يخسر Lose–Lose Game.

كان جَوهر فكرة علاج الاختلالات مبنيًا على تحقيق التعايش السلمي، وحفظ حقوق الجميع، والمشاركة في المسؤولية جماعيا، وفي برنامج التنمية؛ فالفكرة مبنية على أساس زيادة أنصبة جميع الفئات –وإن بدرجات متفاوتة– وحل مشكلة المحرومين من خلال عملية الزيادة والتوسع، وليس من خلال مصادرة حقوق الآخرين، أو التضييق عليهم أي: أن الفكرة مبنية على أساس: تكبير الكعكة، وليس على أساس التنازع عليها.

كان شعب الملايو يشعرون بقلق بالغ على مصيرهم، وبحالة من عدم الثقة بالصينيين بالذات إبَّان الاستقلال وكان الصينيون هم سكان المدن، وهم

المسيطرون على الاقتصاد والتجارة، وكان عددهم مخيفا؛ أي حوالي: 37% من السكان عند الاستقلال، وكان الملايو يعيشون في القرى والأرياف، ولم يكن يزيد نصيبهم في الاقتصاد عن 2% وكانوا يعانون من الجهل والفقر.

وفي الوقت نفسه، كان الصينيون يشعرون بقلق بالغ على مستقبلهم؛ إذا لم يُعترَف بهم كمواطنين ماليزيين عند الاستقلال، مع أنه كان قد وُلِد منهم حوالي 75% في ماليزيا، وكانوا يخشون أن تؤدي سيطرة الملايو إلى الانتقاص من حقوقهم، أو مصادرة أملاكهم وثرواتهم[1].

ولذا كان أساس التوافق للوصول إلى حالة من الاستقرار السياسي والاجتماعي والتعايش السلمي، لابد من أن تُتاح الفرصة للملايو للحصول على حصة عادلة من ثروة بلادهم، وأن تُعطى لهم ضمانات بأن قيادة النظام السياسي ستكون بأيديهم؛ ولأن الملايو لم يكونوا يملكون إمكانات مادية ذاتية، فقد جعل نظام الحكم من مسؤوليته إعطاء مزايا وحوافز للملايو في الاقتصاد والتعليم والعمل الحكومي؛ تتيح لهم مع الزمن السيطرة على جزء معقول من الاقتصاد، وفي الوقت نفسه أعطى النظام ضمانات المواطنة الكاملة للصينيين والهنود، وأكد أن تحسين أوضاع الملايو لن يكون بإعاقة أو إضعاف أوضاع غيرهم، وأن غير الملايو يستطيعون المحافظة على ثقافتهم وعاداتهم، وأن تكون لهم مدارسهم، التي يستخدمون فيها لغتهم الخاصة إلى جانب اللغة الماليزية. ولم يكن لدى قيادات الصينيين والهنود مانع من إعطاء بعض المزايا والحوافز للملايو؛ لأنهم يعلمون أن انفجار الملايو نتيجة الشعور بالظلم والاستغلال، سيدمر كل ما بنوه ولأن النصيب الذي سيأخذه الملايو سيكون

[1] See Crouch, op. cit., p. 17 .

ناتجًا عن عملية التوسع والنمو الاقتصادي، وهو ما يعني أنه ستتاح الفرصة للصينيين والهنود أيضًا لزيادة ثرواتهم؛ فمثلاً إذا كانت الكعكة في البداية من مائة قطعة فإنه سيجري تنميتها لتصبح ألف قطعة، وسيزيد نصيب الملايو مثلاً من قطعتين 2% إلى 300 قطعة 30%، بينما سيزيد نصيب الآخرين من 98 قطعة 98% إلى 700 قطعة 70%.

وفي الوقت نفسه تصرفت القيادة الماليزية بطريقة واقعية، ورأت أن مجرد إثراء الملايو بالمال سيفسدهم، وهو مال سيضيع بسوء الاستخدام، أو قلة الخبرة، أو عدم الشعور بالمسؤولية. ولذلك ربطت تحسين أوضاع الملايو بخطط زمنية طويلة المدى، وحرصت على الاستثمار في تعليمهم وتدريبهم وتطوير كفاءاتهم وقدراتهم التنافسية .

ومن جهة أخرى، تم تكريس تقاليد أن الخلافات بين الأحزاب في الائتلاف الحاكم يجب أن تُحلَّ خلف الأبواب المغلقة، كما يتم التوصل إلى الصفقات السياسية، وتوزيع الحصص، أو المكاسب بالطريقة نفسها؛ لتحقيق أقل قدر من الإثارة، أو التوتر الطائفي والعرقي؛ مع أنه لم يكن هناك ما يمنع من تفريغ بعض المشاعر، أو التعبير عن مواقف متشددة في المؤتمرات الخاصة بكل حزب من الأحزاب، وخصوصًا فروعها الشبابية، مما جعل هذه السياسة تنجح في تحقيق قدر كبير من الاستقرار السياسي والأمني، والتعايش السلمي، وفي توفير بيئة أفضل للتطور الاقتصادي[1].

[1] . Crouch, op. cit., p. 45

.المطلب الرابع- الدين والدولة في المملكة الماليزية:

كان موضوع علاقة الدين بالدولة، في بلد متعدد الأديان ومتعدد الأعراف ومتعدد الثقافات، أمرًا يتسم بالحساسية والدقة. وفوق ذلك فإن المسلمين، على الرغم من أنهم "أبناء البلد"، إلا أن نسبتهم العددية، عند إعلان استقلال ماليزيا، كانت في حدود نصف السكان فقط. ولم تكن للصينيين قوة عددية فقط، ففضلاً عن قوتهم ونفوذهم الاقتصادي الذي يتجاوز نفوذ الملايو المسلمين بأَضعاف مضاعفة، فإن النظام الديموقراطي والانتخابات الحرة، وحرص أو اضطرار الحزب المسلم الحاكم "أمنو" UMNO للتحالف معهم، قد أعطاهم قوة سياسية، ودورًا في صياغة الاتجاهات العامة للدولة. وفي مثل هذه الأوضاع، ومع وجود قيادة للمسلمين الملايو ذات ثقافة غربية، تم الاتفاق على علمانية الدولة، وعلى ضمان الحريات والحقوق الدينية والثقافية لمختلف الطوائف.

ومن جهة أخرى، فإن الدستور الماليزي تميز بمواد قلَّ نظيرها في أي بلد آخر، حيث عرَّف الدستور الملايو بأنه "الشخص المسلم، الذي يتكلم لغة الملايو، ويمارس عاداتهم". وبالتالي، فمن الناحية العملية لهذا التعريف القانوني فإن كل الملايو مسلمون، وإن ابن الملايو الذي يترك الإسلام بالانتقال إلى دين آخر، لا يُعد من الناحية القانونية منتميًا إلى الملايو. وهذا يعني تداخلاً بين ما هو ديني وما هو قومي؛ بحيث حملت قومية الملايو صفة دينية. فكان الإسلام عنصرًا حاسمًا في تحديد هويتهم. ووصف الدستور دين الدولة بأنه الإسلام، وعُدَّ ملك ماليزيا راعيًا للإسلام في البلد، ومنع غير المسلمين من نشر دينهم

وسط المسلمين، لكنه سمح لهم بنشره وسط غير المسلمين، كما سمح للمسلمين بنشر دينهم وسط غيرهم من أبناء الأديان الأخرى[1] .

وقد تعامل الصينيون والهنود بشكل عام بروح إيجابية مع الوضع الخاص الذي كفله الدستور للملايو المسلمين، خصوصًا وأنهم قد ضمنوا حقوق المواطنة والحريات الدينية والثقافية. وأصبح ذلك نوعًا من "العقد الاجتماعي" الذي ارتضته مكونات المجتمع الماليزي. كما أن العديد من النصوص القانونية اتخذت شكلاً رمزيًا، لا يمس جوهر النظام العلماني، وظلت التطبيقات القانونية الإسلامية محصورة، مثل معظم بلدان العالم الإسلامي، بقانون الأحوال الشخصية الذي لا يُطبق على غير المسلمين.

وكما أن الطبيعة العامة للماليزيين اتسمت بالاعتدال والتسامح، فإن طبيعة القيادة الماليزية اتسمت "بعلمانية معتدلة" تعاملت بروح إيجابية مع الإسلام والمؤسسات والرموز الدينية، ولذلك لم يكن مستغربًا انتشار الحجاب في أوساط نساء الحزب الحاكم، وظهور المذيعات المحجبات على شاشة التلفزيون قبل أي من البلدان الإسلامية، وإنشاء البنوك والشركات الإسلامية، والجامعة الإسلامية العالمية، ووجود المئات من المدارس الدينية في كل مكان في ماليزيا، والتي يؤمها معظم أطفال المسلمين بعد انتهاء دوامهم من المدارس العادية، وصدور قانون للطعام الحلال، وقانون آخر يمنع "الخلوة" بين الرجل والمرأة المسلمين. وكان من مظاهر اعتدال الحكم أن الدولة لم تلجأ إلى قمع التيارات الإسلامية السياسية أو مطاردتها، وإنما فضلت أسلوب التعايش

[1] . المرجع السابق: ينظر: http://milexdata.sipri.org/result.php4؛

والاحتواء، والتنافس الذي قد يستخدم بعض أدوات السلطة (ربما الإعلامية أو الاقتصادية...) لكنه لا يلجأ إلى العنف.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث وبعض التوصيات على النحو الآتي:

أولا- النتائج:

1- السماحة في الدين الإسلامي لها ضوابط شرعية يجب على المسلمين الالتزام بها وعدم الإخلال بها.

2- سماحة الدين الإسلامي مع غير المسلمين ثابتة في مصادر الشريعة الإسلامية، وتظهر سمة السماحة في جوانب كثيرة من حسن الخلق والرحمة والعدل والإنصاف والرفق والصدق والصبر.

3- وصف غير المسلمين يطلق على كل كافر، سواء كان من أهل الكتاب، أو ممن لهم شبهة كتاب أو مشركين، ويدخل في عدادهم الملحدون، وكل من يعتنق معتقداً مكفراً، والمرتد عن دين الإسلام.

4- احترام حقوق غير المسلمين في دار الإسلام، سواء كانت حقوقا خاصة، أو عامة".

5- نَجح النظام السياسي الماليزي في توفير آلية مناسبة تستوعب الاختلافات الدينية والعرقية في ماليزيا، كما تتعامل بواقعية مع الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية السائدة في المجتمع الماليزي.

6- تمكن الماليزيون من تطوير نموذجهم الذي أدار الاختلاف بمهارة فائقة، مستفيدا من التنوع باعتباره حالة إغناء وإثراء، وليس حالة تضاد وصراع.

7- لم يكن النظام الماليزي نظاما إسلاميا مثاليا بالضرورة، ولكنه كان ناجحا بما يكفي لتجنيب البلاد الأزمات السياسية، والصراعات الدينية والعرقية،

وتحقيق نسب تنموية واقتصادية عالية. ويمثل هذا النموذج حالة التعامل الوقعي مع التعقيدات والمتغيرات، دون الجنوح إلى المثالية، وهي حالة تجدر دراستها والاستفادة من معطياتها، حيث توجد أزمات طائفية وعرقية في عالمنا العربي والإسلامي.

ثانيا- التوصيات:

1- العناية بالشباب المسلمين والاهتمام بهم، وتوعيتهم، وذلك عبر وسائل الإعلام، ونشر المكاتب العامة بين أوساط الناس في المحافظات والمديريات.

2- محاربة البطالة والفقر؛ فعلى حكام المسلمين العناية بموطنيهم، والاهتمام بهم، ورعايتهم حتى لا ينجروا وراء تيارات خطيرة، لا يحمد عقباها؛ كونها من أكثر أسباب انحراف الشباب عن الحق.

3- إعادة الاعتبار للعلماء؛ فعلى ولاة المسلمين أن يعيدوا للعلماء اعتبارهم، حتى يصبح رأيهم محل اعتبار واحترام؛ لأن غياب العلماء عن الساحة يجعل الشباب يتصارعون، ويفتون، وهم لم يبلغوا سن الرشد الفقهي الذي يؤهلهم للنظر في الأدلة الشرعية واستنباط الأحكام.

4- الواقع الإسلامي الراهن في حالة يرثى لها؛ لما يشنه عليه أعداء الإسلام من حروب غير معلنة، الأصل فيها هدم الإسلام وتشويهه، وهذا لا يخفى عن أنظار الناس، وما يرتكبه أعداء الإسلام في حقوق الأمة الإسلامية في فلسطين، والعراق، وسوريا، وليبيا وغيرها، فتلك الاعتداءات دافع أساسي في إثارة كثير من شباب المسلمين وخروجهم عن جادة الصواب، مما يجعلهم يتصرفون تصرفا بعيدا عن منهج الإسلام وسماحته، مما يجعل أعداء الإسلام يعتقدون بأن هذا التصرف هو الإسلام ذاته.

5- على حكام المسلمين ألا ينقادوا وراء ما يملى عليهم من الخارج، فيكونون دافعا رئيسا لانزلاق الشباب المسلمين في تيارات متشددة، ضد أعداء الأمة من غير المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع

1-إغاثة اللهلفان من مصائد الشيطان، ابن القيم الجوزية، دار المعرفة بيروت، ط،2، 1409.

2-التعامل مع غير المسلمين في الاسلام، اقبال النائطي البدوي.

3-التعريفات علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، د، 1، 1405

4-التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، الشيخ محمد الغزالي، دار النهضة، مصر، ط، 2.

5-الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز عثمان التويجيري.

6-الخراج، أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصاري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث.

7-السيرة النبوية، ابن هشام، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1.

8-المصباح المنير في غريب شرح الكبير، للرفاعي، تح: أحمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

9-المغني، ابن قدامة، مكتبة القاهرة.

10-النموذج السياسي الماليزي وادارة الاختلاف، محمد صالح.

11-النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن الأثير، تحقيق د. طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطنجاني، المكتبة العلمية بيروت، 1999.

12-تاريخ المدينة، بن شيبة، دار العليان، ط1.

13-تلبيس مردود في قضايا حية، صالح بن حميد، مكتبة مكة، ط،1 ، 1412.

14-جامح صحيح البخاري، مجمد بن اسماعيل البخاري، دار طوفان النجاة، مصر.

15-سنن ابن داود، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط،1، 1409.

16-سنن بن داود، ابن داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1.

17-شرح صحيح مسلم، للأمام النووي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط 1.

18-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

19-صفة الصفوة، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1، 1409.

20-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت.

21-فتوح الشام للواقدي، دار الجيل، بيروت.

22-كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، دار احياء التراث الإسلامي، قطر، 1987.

23-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط،1.

24-department of statistics Malaysia official website, "Population and vital.

http://www.statistics.gov.my/portal/download_Buletin_Bulanan/files/BPBM/2012/APR/05_Population.pd.

25- http://www.tourism.gov.my/about_malaysia/index.php.

26- https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/my.html.

27- Harold Crouch, op. cit.

28- http://www.tourism.gov.my/about_malaysia/?view=culture.

29-Official Website, Population And Malaysia Department of Statistics, Housing Census 2000.

http://www.statistics.gov.my/english/census/pressdemo.html.

30-Jayum Anak Jawan, Malaysian Politics and Government (Shah Alam-Malaysia: Karisma Publications, 2003).

31-See Crouch.

32-Crouch, op.

33-http://milexdata.sipri.org/result.php4.